



هجرة الكفاءات العربية نحو البلدان الغربية : الواقع والتحديات

Migration of Arab Competencies towards Western Countries - Reality and Challenges

الطاهر غراز(*)

جامعة جيجل، الجزائر

tgherraz@yahoo.com

د. جمال بولبينة

جامعة جيجل، الجزائر

djamelboulbina@gmail.com

تاريخ القبول: 2019/05/26

تاريخ الإيداع: 2019/04/26

الملخص:

إن الهجرة من الأوطان الأصلية إلى الأوطان البديلة ليست في جميع حالاتها وليدة الرغبة الذاتية للإنسان، وإنما هي في أغلب حالاتها تحمل معاني القسوة والاضطرار وتنشأ عنها آلام الفرقة والحنين من جهة ومشاكل الاغتراب من جهة أخرى، لكنها مع ذلك تعتبر أحد العوامل المهمة في التقدم الإنساني، وسبباً من أسباب التطور الحضاري بجميع مجالاته العلمية والفنية والأدبية والفكرية، فمن خلالها يتم التقاء الأفكار وتزاوج الثقافات، ونتيجة لها تتعدد الرؤى وتتفاعل الخبرات والتجارب، مما يعد سبباً أساسياً من أسباب النمو الحضاري للأمم والمجتمعات، ومن خلال هذه المعطيات يتضح لنا أهمية بحث هذا الموضوع ودراسته للوقوف على الأبعاد المختلفة التي تحملها هجرة الكفاءات العربية من بلدانهم الأصلية إلى الدول الغربية، وسنحاول هنا التركيز على البعد الاقتصادي لهجرة الكفاءات باعتباره واحداً من الأبعاد المهمة المرتبطة بالهجرة، ودافعاً من دوافعها الأساسية.

الكلمات الدالة:

الهجرة، الكفاءات العربية، البلدان الغربية، الأسباب، الدوافع، الانعكاسات السلبية، الحلول المقترحة.

Abstract:

The migration from the original homelands to the alternative countries is not in all cases the result of the self-desire of the human being, but in most cases it carries the meanings of cruelty and necessity and creates the pain of division and nostalgia on the one hand and the problems of alienation on the other, but it is nevertheless one of the important factors in human progress, It is one of the causes of cultural development in all its scientific, artistic, literary and intellectual fields through

(*) المؤلف المرسل : الطاهر غراز ، tgherraz@yahoo.com



which ideas converge and cultures are intertwined. As a result, there are multiple visions and interaction of experiences and experiences. This is a fundamental cause of the cultural growth of nations and societies. The importance of discussing this subject and studying it to find out the different dimensions of migration of the Arab competencies from their countries of origin to the Western countries, and we will try to focus on the economic dimension of the migration of competencies as one of the important dimensions associated with migration, and motivation of its main motives.

Key Words:

Migration, Arab Competencies, Western Countries, Causes, Motivation, Negative Implications, Suggested Solutions.

شهدت العقود الماضية تزايداً واضحاً في موجات الهجرة الدولية التي تركز معظمها من دول العالم النامي إلى الدول المتقدمة، ومع هذا التزايد تصاعد الاهتمام - سواء على مستوى السياسات أو على المستوى البحثي - بقضايا المهاجرين من مداخل عدة منها دور الأقليات في دول المهجر، وسياسات الإدماج ودعم التعددية الثقافية في مقابل سياسات التمييز والحركات العنصرية، والإسلام في أوروبا وإشكاليات الهوية، إلى غير ذلك من مداخل تتبناها الأدبيات والدراسات المهتمة بقضايا الهجرة، وفي هذا الإطار تعد هجرة العرب - وتحديداً أصحاب الكفاءات والعقول المتميزة - إلى الغرب من أهم نماذج الهجرة المثيرة للاهتمام من كافة المداخل السابقة.

فقد بدأت ظاهرة هجرة الكفاءات العربية بشكل محدد منذ القرن التاسع عشر - وبخاصة من سوريا ولبنان والجزائر ومصر، وفي القرن العشرين ازدادت هذه الهجرة وتحديداً خلال الحربين العالميتين الأولى والثانية، وأصبحت ظاهرة عالمية جلبت انتباه الساسة والحكام والباحثين وصناع القرار واستطاعت بعض الدول - خاصة الدول الأوروبية في بادئ الأمر ثم الولايات المتحدة الأمريكية وكندا - توظيف هذه الهجرة بما يخدم أهدافها الآنية والمستقبلية، مستفيدة من النبوغ المتطور لهؤلاء المهاجرين، بينما أغفلت العديد من الدول الأخرى - لاسيما دول العالم الثالث ومنها الدول العربية - هذه الظاهرة، مما أدى إلى خسارتها الجسيمة لهؤلاء العلماء لا كمواطنين فحسب، بل الاستغناء عن خدماتهم وإمكانياتهم المتطورة التي باتت ضرورية ومؤكدة في ظل الحركة المتسارعة للتنمية والتي لا يمكن لأي بلد من بلدان العالم التغاضي عن أهميتها وبالذات في دول الوطن العربي.

وقد حظيت مشكلة هجرة الكفاءات باهتمامات الحكومات والمنظمات العربية في السنوات الأخيرة، حيث كانت موضوعاً حاضراً باستمرار على أجندة الاجتماعات والمؤتمرات التي عقدتها جامعة الدول العربية ومؤسساتها الرسمية، باعتبارها واحدة من المشكلات ذات التداعيات الاقتصادية والاجتماعية بل والسياسية أيضاً التي تلقي بظلالها على طموحات الدول العربية في تحقيق أهداف التنمية، نظراً لخطورة انتشار هذه الظاهرة بما تحتويه من هجرة للمهارات والكفاءات التي تمثل أحد أهم مقومات التنمية على المديين القصير والبعيد.

لذا انطلاقاً مما سبق وإيماناً بأهمية العنصري البشري المتمثل في الشباب العربي باعتباره أهم عناصر التنمية، نسعى من وراء هذا البحث إلى تناول قضية "هجرة الكفاءات أو الأدمغة العربية" من خلال رصد وتحليل واقع المجتمعات العربية والوقوف على الأسباب التي تقف وراء انتشار هذه الظاهرة وتفاقمها خلال السنوات الأخيرة، والنتائج المترتبة عليها، وذلك سعياً نحو التوصل إلى صياغة إستراتيجية محددة وواضحة المعالم للتعامل مع هذه المشكلة، وبما يمكن من إعداد برامج شاملة وطموحة لتكثيف الاستثمار البشري للشباب العربي طبقاً لأسس علمية مدروسة.

1- إشكالية الدراسة:

تجلى المشكلة البحثية التي تتناولها الدراسة في "خطورة ظاهرة هجرة الكفاءات البشرية العربية وعدم نجاح الحكومات والمنظمات العربية في مواجهتها حتى الآن، مما يؤثر على التنمية البشرية والاقتصادية"، ومن ثم تهدف هذه الورقة البحثية إلى الاقتراب من ظاهرة هجرة الشباب العربي أصحاب الكفاءة والعقلية المتميزة، والتعرف على جوانبها المختلفة بصورة تمكّن من تشخيصها وتحديد أسبابها، والعمل على وضع تصوّر ملائم لمواجهتها والحد من آثارها السلبية.

2- تساؤلات الدراسة:

تسعى الدراسة الراهنة إلى الإجابة عن تساؤل رئيسي مفاده ما أبرز ملامح ظاهرة هجرة الكفاءات العربية نحو الغرب؟ ويتفرع من هذا التساؤل الرئيسي- مجموعة من التساؤلات الفرعية التي تحاول الدراسة وضع إجابات لها، وهي:

- ما أسباب ظاهرة هجرة الشباب العربي إلى الدول الغربية؟ وهل ثمة علاقة بين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تشهدها البلاد العربية وبين انتشار هذه الظاهرة؟



- لماذا أخفقت البلدان العربية في بذل الجهود اللازمة لجذب علمائها ذوي المهارات، في حين نجحت دول أخرى في ذلك؟
- هل هناك تزايد أم انخفاض في أعداد المهاجرين العرب خلال السنوات الأخيرة وفقاً للإحصاءات والتقارير الصادرة؟
- ما الآثار والتداعيات السلبية التي تنطوي عليها ظاهرة هجرة الكفاءات والعلماء العرب؟
- كيف يمكن للدول العربية الحد من هذه الظاهرة، واستغلال مواردها البشرية من ذوي الكفاءة في تحقيق أهداف التنمية؟
- هل سيكون لثورات دول الربيع العربي تأثير على عودة العقول البشرية المهاجرة؟

3- أهمية الدراسة:

تنبع أهمية الدراسة من كونه يتناول قضية لها تأثير كبير في واقع حياة الشباب العربي ومجتمعاتهم، خاصة في ضوء التغيرات السياسية التي شهدتها عدد من دول الربيع العربي خلال السنوات القليلة الأخيرة، وسعي هذه الدول وغيرها من الأقطار العربية لتحسين مستوى معيشة مواطنيها وتجنب السلبيات التي عانت منها خلال العقود الماضية، ومن هنا تأتي أهمية البحث الذي يهدف إلى تشخيص قضية هجرة الكفاءات من الشباب العربي، وتقديم حلول ممكنة في هذا الشأن.

4- منهجية الدراسة:

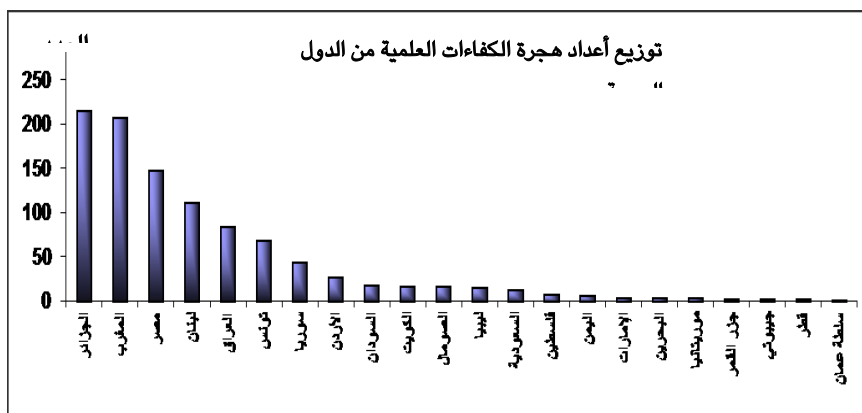
يتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي، وذلك من خلال تجميع البيانات والمعلومات المتعلقة بظاهرة هجرة العقول البشرية العربية من مصادرها المختلفة، ثم تحليلها واستخلاص النتائج منها.

أولاً- ظاهرة هجرة الكفاءات من الدول العربية- معطيات وحقائق إحصائية:-

تعتبر منظمة اليونسكو أن هجرة العقول أو الكفاءات "شكل من أشكال التعاون والتبادل العلمي الشاذ أو غير السليم بين الدول"، باعتباره يعني تدفق هجرة العلماء في اتجاه واحد نحو الدول المتقدمة، فيما تميز منظمة التعاون والتنمية الدولية بين مفهوم "تبادل العقول" ومفهوم "إهدار العقول"، على اعتبار أن "تبادل العقول" أمر طبيعي ناجم عن تفاعل الحضارات وحوار الثقافات، وربما لهذا السبب دافع البعض عن هجرة الكفاءات باعتبارها تؤدي إلى تأمين المليارات من العملة الصعبة للبلدان الأصلية

للمهاجرين وتسهم في تحسين الوضع الاجتماعي، إلا أن تعدد النواحي السلبية لظاهرة هجرة الكفاءات وعلى رأس ذلك توسيع الهوة بين الدول الغنية والدول الفقيرة جعل النظر إلى تلك الظاهرة بتركز - في الغالب - على تأثيراتها السلبية.⁽¹⁾

ويمكن الوقوف على بعض الإحصائيات والمؤشرات الصادرة عن المؤسسات والجهات الرسمية، والتي تؤكد حقيقة خطورة هذه الظاهرة، فقد أشارت دراسة صادرة عن إدارة السياسات السكانية والهجرة بجامعة الدول العربية خلال السنوات الأخيرة إلى أن مجموع عدد الكفاءات العلمية العربية في الخارج يصل إلى مليون و91 ألفاً و282 كفاءة علمية، وكشفت الدراسة عن إحصائية تفصيلية لتوزيع نسب وهجرة الأدمغة والكفاءات العلمية من الدول العربية، على النحو التالي:⁽²⁾



ويتضح من الشكل البياني أن الجزائر جاءت في مقدمة أكثر الدول هجرة لعقولها البشرية بعدد 215 ألفاً و 347 كفاءة، يليها المغرب بـ 207 آلاف و 117 كفاءة، ثم مصر بـ 147 ألف كفاءة و 835، فلبنان بـ 110 آلاف و 960 كفاءة، والعراق بـ 83 ألفاً و 465 كفاءة، وتونس بـ 68 ألفاً و 190 كفاءة، فيما تعد كل من سلطنة عمان وقطر الأقل من حيث عدد العقول والكفاءات البشرية المهاجرة منهما بإجمالي 1012 و 1465 كفاءة على الترتيب.

وبحسب دراسات أخرى للجامعة العربية، فإنه يهاجر حوالي مائة ألف من أرباب المهن وعلى رأسهم العلماء والمهندسون والأطباء والخبراء كل عام من ثمانية أقطار عربية هي لبنان وسوريا والعراق والأردن ومصر وتونس والمغرب والجزائر، كما أن 54% من



الطلاب العرب الذين يدرسون في الخارج لا يعودون إلى بلادهم، ولدرجة أن الأطباء العرب يمثلون 34% من إجمالي عدد الأطباء في بريطانيا، كما تشير هذه الدراسات إلى أن 20% من خريجي الجامعات العربية يهاجرون إلى الخارج، وحوالي 60% ممن درسوا في الولايات المتحدة خلال الثلاثين عاماً الأخيرة لم يعودوا إلى بلادهم، و50% ممن درسوا في فرنسا لم يعودوا أيضاً إلى بلادهم.⁽³⁾

وبحسب هذه الدراسات، فإن الوطن العربي يساهم بنحو 31% من الكفاءات والعقول المهاجرة من الدول النامية ككل، كما أن نحو 50% من الأطباء و23% من المهندسين و15% من العلماء من مجموع الكفاءات العربية يهاجرون إلى أوروبا والولايات المتحدة وكندا، و75% من الكفاءات العلمية العربية مهاجرة إلى ثلاثة دول تحديداً هي بريطانيا وأمريكا وكندا.⁽⁴⁾

وأشارت إحصائيات أخرى إلى أن إجمالي الإنفاق على العلماء في الغرب يعادل ضعف إنتاج النفط العربي سنوياً، وأن 12% فقط من بلدان العالم تستحوذ على 95% من العلماء.⁽⁵⁾

ثانياً- أسباب ودوافع هجرة الكفاءات العربية:

"إن لكل عالم وخير عربي أسبابه الخاصة التي دفعته إلى الهجرة، وهذه تضاف إلى الأسباب العامة المشتركة في الوطن العربي، حيث لا احترام للعلم والعلماء، ولا تتوفر البيئة المناسبة للبحث العلمي والإبداع، وبالتالي فمن الطبيعي أن يبحث العالم العربي وطالب المعرفة عن المكان الذي تتواجد فيه شعلة الحضارة، إذ عندما كان العالم العربي يحمل شعلة الحضارة قبل مئات السنين كان يأتيه المفكرون والخبرات والعقول من كل حذب وصوب، وبما أن شعلة الحضارة انتقلت إلى الغرب فمن الطبيعي أن يهاجر الخبراء والعلماء إلى المراكز التي تحتضن هذه الشعلة"⁽⁶⁾.. هذه العبارة ذكرها العالم المصري الدكتور فاروق الباز وهو من كبار العقول العربية التي هاجرت من مصر منذ ستينيات القرن الماضي، والتي لخص خلالها أسباب ظاهرة هجرة الكفاءات العربية.

ومن خلال مراجعة الأدبيات الخاصة بالهجرة الدولية يتضح عدم وجود نظرية متكاملة أو نموذج شامل وحيد قادر على تفسير أسباب وديناميكيات الهجرة، فالإسهامات المقدمة في هذا المجال تمثل نظريات ونماذج جزئية تقترب من الظاهرة من منظورات مختلفة، فهناك أدبيات ترجع أسباب الهجرة إلى منطق التحليل الاقتصادي الذي يركز على منطلقات الفاعل الرشيد وتحليل التكلفة-العائد، فلا شك أن عملية الهجرة ترتبط برغبة



الشخص في تحسين وضعه الاقتصادي والاجتماعي، ويأتي قرار الهجرة بعد حساب الشخص للتكاليف التي سيتحملها في حالة انتقاله من بلده الأصلي إلى بلد المهجر في مقابل المنافع التي سيجنيها من هذا الانتقال، ويدفعه إلى اتخاذ القرار ربحان كفة الثانية. وبالإضافة إلى هذا الاتجاه الاقتصادي في تفسير الهجرة، توجد نظريات هيكلية Structural Theories تربط الهجرة بالتطورات المجتمعية التي تشهدها دولة معينة، فالدول تشهد تحولات في هياكلها الاقتصادية والاجتماعية قد تغير الوضع الاجتماعي أو الطبقي لبعض الأشخاص ومن ثم تدفعهم إلى الهجرة، هذا إلى جانب النظريات التي تركز على الإطار الدولي المحدد لهيكل السوق الدولي للعمالة في التأثير على الهجرة، فازدياد الفجوة بين دول الشمال ودول الجنوب وتحول الأخيرة إلى دول الهامش في النظام الاقتصادي الدولي يزيد من معدلات الهجرة من الجنوب إلى الشمال بحثاً عن حياة أفضل⁽⁷⁾.

ومن ثم يمكن الإشارة إلى نوعين من العوامل (الأسباب) وراء ظاهرة هجرة العقول العربية، إحداها طارئة تتعلق بدول المنشأ أو الدول المرسل (الدول العربية)، والأخرى جاذبة خاصة بدول الاستقبال (الدول الغربية).

ومن بين عوامل الطرد تأتي 1- التحديات السياسية، ومنها الفساد السياسي وغياب الديمقراطية وتزايد القمع وانتهاكات حقوق الإنسان⁽⁸⁾، والإشكاليات التي تعترى بعض تجارب الديمقراطية العربية، وتهميش الباحث من قبل القيادات العلمية والسياسية والتي تؤدي في بعض الأحيان إلى شعور بعض أصحاب الخبرات بالغربة في أوطانهم، أو تضطربهم إلى الهجرة سعياً وراء ظروف أكثر حرية واستقراراً.

2- عوامل اقتصادية طارئة تتعلق بانتشار البطالة والتي تؤكد التقارير الصادرة عن منظمة العمل العربية أن نسبتها في العالم العربي تجاوزت 14%⁽⁹⁾، وقلة العائد المادي لمختلف الكفاءات العلمية والفنية، وقلة حجم الإنفاق على البحث العلمي في الدول العربية، ويكفي الإشارة إلى تقرير منظمة اليونسكو عام 2010⁽¹⁰⁾ والذي أكد أن حجم الإنفاق على البحث العلمي في العالم العربي هو الأقل في العالم، ففي الدول العربية الإفريقية وصل ما بين 0.3% و 4% خلال السنوات ما بين 2002 و 2007 من جملة الناتج القومي، بينما وصل الإنفاق في الدول العربية الآسيوية 0.1% في الفترة نفسها، فيما بلغ الإنفاق العالمي في دولة مثل إسرائيل ما بين 4,6 و 4,8% عام 2006، ويضاف إلى العوامل الاقتصادية أيضاً إلحاق العلماء بأعمال لا تتلاءم مع خبراتهم وتخصصاتهم،



وتفشي الإجراءات الروتينية في أعمالهم، بالإضافة إلى الاعتماد المكثف على الخبرات الفنية والتقنيات الغربية على حساب الكفاءات الوطنية.

3- العوامل الاجتماعية، وأبرزها وجود تفرقة بين خريجي الجامعات الوطنية والأجنبية، مما أدى إلى تشجيع الدراسة في الخارج.

وبالإضافة إلى ما سبق، ثمة مجموعة من العوامل الجاذبة لهجرة العقول العربية إلى الدول المتقدمة، وهى في الغالب تتلخص في توافر إمكانيات البحث العلمي في الدول التي تتم الهجرة إليها سواء ما يتعلق بمناخ البحث العلمي السائد أو الإمكانيات المادية من معامل ومختبرات وتمويل وفرق عمل بحثي متكاملة، إلى جانب وجود الجماعة العلمية المرجعية المحفزة للإبداع العلمي، وكذلك المغريات المادية التي تقدمها دول المهجر⁽¹¹⁾.

ثالثاً- الانعكاسات السلبية لظاهرة هجرة الكفاءات العربية:

تفرز هجرة الكفاءات العربية إلى البلدان الغربية عدّة آثار سلبية على واقع التنمية في الوطن العربي، ولا تقتصر هذه الآثار على واقع ومستقبل التنمية الاقتصادية والاجتماعية العربية فحسب ولكنها تمتد إلى التعليم في الوطن العربي وإمكانيات توظيف مخرجاته في بناء وتطوير قاعدة تقنية عربية، ومن أهم الانعكاسات السلبية لنزيف العقول العربية المهاجرة⁽¹²⁾:

■ تمثل هجرة الكفاءات العربية استنزافاً لشريحة مؤثرة وفعالة في المجتمع العربي، ولها دور بارز، وبالذات في المرحلة الحالية، حيث شرعت أغلب البلدان العربية وبخاصة النفطية منها بتنفيذ خطط تنموية واسعة النطاق، وهي بلا شك بأمر الحاجة إلى الكفاءات العلمية والأيدي العاملة المدربة القادرة على النهوض بالأعباء الملقة على عاتقها إلى مستوى الطموح.

■ تعتبر هجرة الكفاءات العربية خسارة في مجال التعليم في جميع مراحله، فمن المعلوم أن البلاد العربية تعد من أكثر المناطق في العالم أمية، إذ يبلغ معدل الأمية في الوطن العربي حالياً نحو 49%، ويشكل هذا الرقم أحد المعوقات الرئيسية أمام التنمية العربية في عصر تمثل فيه الكفاءات العلمية والتقنية والمعرفة المصدر الرئيسي- للميزة النسبية وأساس التفوق والتنافس بين الأمم.

■ من المخاطر البالغة الأثر لهجرة الكفاءات العربية، تلك الخسائر المتعلقة بهدر الأموال الطائلة التي تم إنفاقها على تعليم وتدريب الطلبة الذين نالوا هذه الكفاءات المتقدمة.



■ تؤدي هجرة الكفاءات العربية إلى توسيع الهوة بين الدول الغنية والدول الفقيرة، لأن هجرة الأدمغة إلى الدول المتقدمة تعطي هذه الدول فوائد كبيرة ذات مردود اقتصادي مباشر، بينما تشكل بالمقابل خسارة صافية للبلدان التي نزع منها أولئك العلماء، خاصة وأن التكنولوجيات والاختراعات المتطورة التي أبدعها أو أسهم في إبداعها أولئك العلماء المهاجرين تعتبر ملكاً خاصاً للدول الجاذبة لهم.

■ تركز هذه الظاهرة التبعية للبلدان المتقدمة، وتبرز مظاهر التبعية في هذا المجال بالاعتماد على التكنولوجيا المستوردة، والتبعية الثقافية والاندماج في سياسات تعليمية غير متوافقة مع خطط التنمية.

■ تنسحب الخسائر أيضاً على الميدان السياسي وعلى الصراع ضد إسرائيل أو الهيمنة الغربية، فلم يعد خافياً أن جزءاً أساسياً من هذه المعركة يدور في الميدان العلمي والحضاري والثقافي، وأن أحد عوامل النصر بات مرتبطاً بدخول العرب إلى عصر مواكبة الثورة العلمية.

وعموماً فقد قدر أحد تقارير منظمة العمل العربية أن الخسائر التي تتكبدها الدول العربية سنوياً لا تقل عن 200 مليار دولار بسبب هجرة الكفاءات إلى الخارج، وتقدر هذه الأرقام بخسائر كبيرة نجمت عن تأهيل هذه الكفاءات ودفع كلفة تعليمها داخل أوطانها، مما يؤكد أن الدول العربية، ومعها سائر الدول النامية تقدم مساعدات إلى البلدان المتقدمة عبر تأهيلها لهذه الكفاءات ثم تصديرها إلى هذه البلدان المتقدمة لتفيد من خبراتها العلمية⁽¹³⁾

والأخطر من ذلك النتيجة التي أبرزها ريفين برينر - الأستاذ في دراسات الأعمال في جامعة ماكجيل الكندية- والتي ذكرها في كتابه "القرن المالي" إذ يقول: (في ظل اقتصاد العولمة سيذهب البشر والأموال إلى حيث يمكنهم أن يكونوا مفيدين ومربحين، ففي كل عام يغادر ما يقدر عددهم بنحو 1,8 مليون من المتعلمين ذوي المهارات والخبرات من العالم الإسلامي إلى الغرب، وإذا افترضنا أن تعليم أحد هؤلاء المهاجرين يكلف في المتوسط عشرة آلاف دولار، فإن ذلك يعني تحويل 18 مليار دولار من الأقطار الإسلامية إلى الولايات المتحدة وأوروبا كل عام)⁽¹⁴⁾، وإذا راكمنا هذا المبلغ نظرياً على مدى عدة سنوات يصبح مفهوماً أكثر لماذا تزداد الأقطار الغنية غنى والفقيرة فقراً.

كما تتجلى الخطورة في أن عدداً من المهاجرين العرب في الدول الغربية يعملون في أهم التخصصات الإستراتيجية، مثل الطب النووي والجراحات الدقيقة والهندسة



الإلكترونية والميكرو إلكترونية والعلاج بالإشعاع والهندسة النووية وعلوم الليزر وتكنولوجيا الأنسجة والفيزياء النووية وعلوم الفضاء والميكروبيولوجيا والهندسة الوراثية، وتشجع العديد من الدول المتقدمة العقول والأدمغة العربية النابغة على البقاء في الدول التي هاجروا إليها، ومثال على ذلك قرار أصدره الكونجرس الأمريكي عام 2009 بزيادة نسبة الحصول على بطاقات الإقامة للمتخريجين الأجانب في مجال التكنولوجيا المتطورة من 90 ألفاً في السنة إلى 150 ألفاً، ثم إلى 210 ألفاً في عام 2009.⁽¹⁵⁾

رابعاً- حلول مقترحة للتعامل مع ظاهرة هجرة الكفاءات العربية نحو الخارج:

إن البحث في مسألة مواجهة هجرة الكفاءات العربية يطرح التساؤل التالي: "لماذا أخفقت البلدان العربية في بذل الجهود اللازمة لجذب علمائها وفنييها ذوي المهارات العالية والدقيقة في حين نجحت دول أخرى في ذلك؟"، إن جانباً من الإجابة على هذا السؤال يكمن في الأسباب الدافعة للهجرة والتي أشرنا إليها أعلاه، ولكن ثمة جوانب أخرى يمكن توضيحها وهي أن الدول العربية تفتقد ما يمكن أن يطلق عليه "مشروع التنمية المتوازنة والشاملة"، والذي من أهم عوامله خلق وتعزيز البيئة الفكرية والعلمية والثقافية التي توفر مقومات العمل والاستقرار المعيشي والنفسي والإنتاج العلمي.

ومن ثم فإن الخطورة التي تشكلها هجرة الكفاءات العربية على المخططات التنموية العربية تتطلب إيجاد حلول للحد من هذه الظاهرة، وفي هذا الصدد يمكن الإشارة إلى التوصيات والحلول الآتية:

■ وضع إستراتيجية عربية متكاملة للتصدي لمشكلة هجرة الكفاءات، وينبغي أن تشارك في وضعها كل من جامعة الدول العربية، ومنظمة العمل العربية، والمجلس الاقتصادي والاجتماعي العربي، والمنظمات العربية غير الحكومية المهتمة بهذا الموضوع، مع الاستفادة من خبرات منظمة اليونسكو ومنظمة العمل الدولية التي تملك خبرات ودراسات جادة حول هذه المشكلة.⁽¹⁶⁾

■ الاستغلال الجيد لثورات "الربيع العربي" والتي أدت إلى نمو المشاعر القومية والوطنية لدى كثير من العرب الذين يتابعون تطورات الأحداث في بلادهم من البلاد التي هاجروا إليها، فرياح التغييرات يمكن أن تحمس هؤلاء للعودة إلى الوطن والمشاركة في بنائه من جديد، وهو ما حاولت الحكومة المصرية تطبيقه من خلال إنشاء مدينة زويل للعلوم والتكنولوجيا، وهو مشروع مبادرة لتطوير العلم والتعليم من قبل العالم المصري أحمد زويل الحائز على جائزة نوبل للكيمياء، ورغم ما يعترض هذا المشروع من عقبات



حالياً، إلا أن فكرته تعد جيدة، إذ أنه سيساهم ليس فقط في الاستفادة من الكفاءات والمواهب المصرية والطلاب النابغين، بل أنه يهدف أيضاً إلى اجتذاب العلماء من الخارج للاستفادة من خبراتهم في تطوير تكنولوجيات جديدة لخدمة البلاد والمناطق المجاورة، وتحقيق نقله علميه في مصر، والمشاركة في الاقتصاد العالمي القائم على التكنولوجيا.

■ زيادة ميزانية البحث العلمي في كل دولة عربية، وإنشاء مراكز للبحوث التنموية والعلمية، بما يوفر المناخ المناسب للكفاءات وأصحاب المواهب للعمل في هذه الدول والإنتاج العلمي والإبداع بدلاً من الهجرة.

■ احترام الحريات الأكاديمية وصيانتها، وذلك بإعطاء أعضاء الهيئات الأكاديمية والعلمية حرية الوصول إلى مختلف علوم المعرفة والتطورات العلمية وتبادل المعلومات والأفكار والدراسات والبحوث، وفي استعمال مختلف وسائل التطور الحديثة دون تعقيد أو حواجز.

■ إعادة النظر جذرياً في سلم الأجور والرواتب التي تمنح للكفاءات العلمية العربية، وتقديم حوافز مادية ترتبط بالبحث والإنتاج، ورفع الحدود العليا للأجور لمكافأة البارزين من ذوي الكفاءات وتقديم الحوافز التشجيعية والتسهيلات الضريبية والجمركية للوفاء بالاحتياجات الأساسية، وتقديم الخدمات اللازمة لقيامهم بأعمالهم.

■ بناء شراكة مع الكفاءات العربية المهاجرة، فالعلماء العرب اليوم يتواجدون في أعرق المراكز العلمية والجامعية والبحثية والصناعية، ويطلعون ويطورون كثيراً منها، لذلك فإن بإمكانهم عند تقديم دعوة صادقة لهم للمشاركة من مواقعهم في بعض البرامج القائمة في مراكز البحث والجامعات العربية أن يكونوا خير عون إذا أُحسن الاختيار وصدقت النوايا من الجانبين.⁽¹⁷⁾

■ حث الحكومات العربية على تكوين الجمعيات والروابط لاستيعاب أصحاب الكفاءات المهاجرة من بلدانهم، وإزالة جميع العوائق التي تعيق ربطهم بأوطانهم، ومنحهم الحوافز المادية وتسهيل إجراءات عودتهم إلى أوطانهم للمشاركة في عملية التنمية والتحديث.⁽¹⁸⁾

■ التعاون مع المنظمات الدولية المعنية مثل اليونسكو لإقامة مشروعات ومراكز علمية في البلدان العربية لاجتذاب الكفاءات العربية المهاجرة للإشراف على هذه المراكز والإسهام المباشر في أعمالها وأنشطتها، وتقديم مزيد من المساعدات المالية لتوفير فرص



عمل للشباب العربي، وبما يساعد أيضاً على الحد من الهجرة غير الشرعية إلى دول أوروبا (19).

■ مراجعة سياسات التشغيل في الدول العربية والعمل على إعطاء الأولوية في التشغيل لأبناء الوطن أولاً ثم أبناء الدول العربية ثانياً، ثم للعمالة الأجنبية ثالثاً طبقاً للاتفاقيات العربية في هذا الشأن.

■ التوسع في فتح مؤسسات لتدريب الإطارات العربية، وتأهيلها بشكل يضمن اندماجها القوى في قطاعات النشاطات الاقتصادية ومجالاتها، مع تيسير سبل التحاق الكفاءات بالدراسات التأهيلية والتدريبية والتجريبية التي تعقدها مثل هذه المؤسسات (20).

■ الإسهام في دعم وتنشيط مكاتب العمل والتشغيل بما يمكنها من حصر- فرص العمل في مختلف القطاعات، وإرشادها للشباب النابغين والباحثين عن العمل عن تلك الفرص، وتوفير متطلبات قيامها بدراسة اتجاهات سوق العمل واحتياجاتها في المستقبل.

■ مراجعة نظم التعليم والتدريب للوقوف على مدى ملاءمتها مع احتياجات سوق العمل ومستلزماتها المتطورة من المهن والمهارات، وتنويع مؤسسات التعليم مع تنويع المهارات التكنولوجية المطلوبة في مجالات الإنتاج المختلفة.

■ العمل على جذب المزيد من الاستثمارات الأجنبية في الدول العربية لخلق سوق عمل يستوعب الكفاءات في الداخل، وأن تعمل وسائل الإعلام على زيادة نشر- الوعي بخطورة ظاهرة هجرة العقول البشرية، من خلال توضيح الآثار السلبية التي تترتب عليها، وحث المسؤولين بالدول على مواجهتها.

النتائج والتوصيات:

من خلال هذه الدراسة اتضح لنا أن ارتباط جميع دول العالم وبخاصة دول العالم الثالث والتي منها الدول العربية بمنظومة النظام الاقتصادي الرأسمالي أدى إلى خلق علاقة تخلف وتبعية من قبل دول العالم الثالث للدول الصناعية المتقدمة، حيث أصبح الوصول إلى الدول المتقدمة حلم كثير من أبناء الدول النامية، لما تحمله من مزايا فردية للمهاجر تجعله متميزاً عن أقرانه في وطنه الأصلي، ونتيجة لذلك حصلت عمليات إغراء وسرقة متعمدة من قبل بعض المراكز المتخصصة في دول المهجر لاستقطاب خيرة الكفاءات العلمية في بلدان العالم الثالث، ومنها العديد من الدول العربية .

- إن أبرز الأسباب الاجتماعية لهجرة الكفاءات العلمية هي انتشار الأمية العلمية بين



المجتمعات التي يعيشون فيها، المتمثلة في عدم تقدير الكفاءات العلمية وعدم الاهتمام بأصحابها، الأمر الذي جعلهم يشعرون بالغربة وهم في أوطانهم، وكذلك ضعف الانتماء الوطني لحضارة البلد الأصلي بسبب تأثير الحضارة الغربية السائدة أو بسبب الضغوط التي يتعرضون لها عرقياً أو مذهبياً أو دينياً، مما يؤثر سلباً على تماسك العلاقات الاجتماعية في البلدان الأصلية، فيدفعهم ذلك إلى التفكير بالهجرة .

-حددت الدراسة بعض الأسباب السياسية لهجرة الكفاءات العلمية، من أبرزها القمع والاضطهاد وعدم الاستقرار السياسي، وكبت الحريات الفكرية، كما تعتبر المحسوبية أسوأ وأخطر أنواع الفساد الإداري والسياسي، الأمر الذي يؤدي إلى استبعاد الكفاءات العلمية والمهنية من مركز القرار، الأمر الذي يدفع تلك الكفاءات للبحث عن دور لها في بلاد المهجر، وقد كان الاستقطاب الطائفي والتوظيف السياسي له أحد الأسباب التي أدت إلى هجرة تلك الكفاءات، بسبب غياب الهوية الوطنية وبسبب سياسة الإقصاء والتهميش لأبناء المجتمع بناء على خلفيتهم المذهبية والطائفية، الأمر الذي دفع تلك الكفاءات إلى ترك الوطن الأصلي والبحث عن حياة جديدة في وطن المهجر .

-ترى الدراسة أنه من المنطقي النظر إلى هجرة الكفاءات نظرة موضوعية، باعتبارها تحمل بعضاً من الجوانب الإيجابية ولم تعد جميع جوانبها سلبية ومؤذية، وبناء على ذلك فإن هجرة الكفاءات العلمية رغم خطورتها على حاضر ومستقبل الأمم، فإنها لا تخلو من بعض الآثار الإيجابية، منها تنمية العنصر البشري علمياً ومهنياً، والإفادة من عوائد التحويلات المالية من بلاد المهجر إلى الوطن الأصلي، والمساهمة في الحد من مشكلة البطالة، وكذلك المساهمة في التقدم الصناعي والتكنولوجي للبلد الأصلي، وتحقيق التفاعل الحضاري بين الأمم والحضارات، إذ يمكن للبلدان الأصلية أن تفيد من هذا الرصيد المهاجر من الكفاءات العلمية للارتقاء بواقع البلدان الأصلية، والإفادة من مواقعهم العلمية ومراكزهم البحثية، لتكون ميادين خبرة ودراية تصب نتائجها في العالم الإسلامي وتساهم بنهضته .

-من أبرز النتائج السلبية لهجرة الكفاءات العلمية أنها تمثل عملية استنزاف للعقول المتميزة، كما أنها تمثل خسارة في مجال التعليم، وخسائر اقتصادية فادحة للبلدان الأصلية، وتعمل على توسيع الهوة بين الدول الغنية والفقيرة، وتكريس فكرة التبعية للبلدان المتقدمة، وتبديد الموارد البشرية، الأمر الذي يؤدي إلى ضعف وتدهور الإنتاج العلمي والبحثي في البلدان الأصلية، بالمقارنة مع الإنتاج العلمي والبحثي في دول

المهجر، مما يعني بالنتيجة ضياع الجهود والطاقات الإنتاجية والعلمية لهذه العقول، التي تصب في شرايين البلدان الغربية، بينما تحتاج التنمية الوطنية لمثل هذه العقول في مجالات الاقتصاد والتعليم والصحة والتخطيط والبحث العلمي في بلدانها الأصلية .

-توصي الدراسة بالعمل على معالجة ظاهرة هجرة الكفاءات للحد من هجرة العقول البشرية، من خلال تقديم برامج دقيقة متعلقة بسياسة التوظيف في مؤسسات الدولة، من حيث الأجور والمرتبات المغرية لتحقيق الكفاية الاقتصادية، واختيار المكان المناسب لتلك الكفاءات العلمية، بما يتفق مع مؤهلاتهم وإمكاناتهم، وتوفير المناخ السياسي الذي يمنحهم المشاركة الفعلية في اتخاذ القرار، والعمل على نشر ثقافة الولاء الوطني والابتعاد عن الولاءات الضيقة حزبياً أو عرقياً أو مذهبياً، وإعداد خطة منهجية لتطوير مناهج التعليم، بما يتناسب مع حاجة المجتمع المحلي للاختصاصات المختلفة، وتفعيل دور الشباب في حرية إبداء آرائهم وأفكارهم من خلال المنتديات والمراكز الثقافية والشبابية، وتشجيع الشركات والمؤسسات الخاصة للمشاركة في تمويل البحوث العلمية والإفادة منها، وتوفير أدوات وأجهزة البحث العلمي من قبل الجامعات للباحثين، وعقد المؤتمرات والندوات وورش العمل العلمية التي لها ارتباط بالواقع الصناعي والاقتصادي والعلمي، من أجل إحداث احتكاك علمي بين الخبرات المحلية والعالمية، وصولاً إلى الإبداع والابتكار، مع عدم التفريق بين أجور الخبراء المحليين من أبناء البلد وبين الخبراء الأجانب، مادامت المؤهلات متساوية والخبرات متوافقة .

- توصي الدراسة بضرورة إقرار إستراتيجية عربية تعمل على وضع ظاهرة هجرة الكفاءات العلمية على جدول أعمال اجتماعات جامعة الدول العربية، من خلال مؤسساتها ووحداتها المختلفة، من أجل رصد إحصاءاتها الدقيقة والتنبيه إلى خطورتها، وتقديمها إلى اجتماعات القمة عربياً، ووضع برامج عملية لمعالجتها، وتبني مشروعات طموحة تدعو من خلالها هؤلاء العلماء الموجودين بالخارج إلى العودة إلى بلدانهم الأصلية والإسهام في بناء نهضتها وتطويرها العلمي والتقني، باعتبارها قضية من قضايا الأمن القومي؛ لأن تفريغ أي أمة من عقولها يعني تركها أمة خاملة وتابعة وغير قادرة على الابتكار .

- توصي الدراسة بضرورة تبني المواهب العلمية المختلفة، وعدم إهمال المخترعات التقنية التي يتقدم بها أعداد من الطلبة والباحثين العرب إلى الجامعات ومراكز البحث العلمي، دون أن تجد طريقها للتنفيذ والمتابعة، حيث يتحمل مسؤولية هذه المهمة كل من الدولة



والقطاع الخاص على حد سواء، من أجل تبني المخترعات العلمية التي تساعد على تطوير المنتج الصناعي كما يحدث في الدول المتقدمة .

- توصي الدراسة بضرورة رعاية الجامعات العربية للعلماء والخبراء المنتسبين إليها، والحرص عليهم وتوفير كل السبل التي تتيح لهم الابتكار والإبداع، والعمل على تقديرهم مادياً أو أدبياً - بدلاً من الوقوف في طريق طموحاتهم العلمية والمهنية- والتوسع في إنشاء الأكاديميات التكنولوجية والبحثية، لإتاحة الفرصة لهذه الكفاءات أن تمارس دورها العلمي والقيادي في نهضة الأمة وتقدمها .

وأخيراً، فإن هجرة العقول سنة كونية إذا ما أحسن استثمارها وتوظيفها لكانت خيراً وبركة على الأمة، ولكانت كسباً حضارياً وعلمياً وتقنياً يسهم في تقدم الأمة وازدهارها، وزيادة تجاربها وتواصلها مادياً ومعنوياً، وبالعكس تماماً إذا ما أسيء استخدامها فإنها ستكون عامل تقويض وضعف للأمة .

وإن ما تم ذكره أو الإشارة إليه في هذه الدراسة لا يمثل الرؤية الشاملة الكاملة لظاهرة هجرة الكفاءات العلمية، وإنما هي مجموعة أفكار وإشارات يتم من خلالها النظر والتفكير في أبعاد هذه الظاهرة، تم الاعتماد فيها على مجموعة من الأرقام والإحصاءات، لتكون جهداً مضافاً ومكملاً لجهد السابقين في هذا المجال.

الهوامش:

1. مشهور إبراهيم، هجرة الكفاءات وآثارها السياسية والاقتصادية على الدول النامية، الحوار المتمدن، العدد 2391، 2008/9/1، على رابط:

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=145749>

2. جمال وهبي، الجزائر والمغرب من أكثر الدول التي تهاجر أدمغتها، مقال رأي، جريدة المساء، العدد 446، 25 فبراير 2008.

3. مذكرة الأمانة العامة حول جوهر الأدمغة العربية وضع سياسة واضحة لاستيعاب الكفاءات العربية و الحد من هجرتها إلى الخارج، الاتحاد البرلماني العربي، مجلة البرلمان العربي، العام الثاني والعشرون، العدد 82، ديسمبر 2001، على رابط:

<http://www.arab-ipu.org/publications/journal/v82/memobrain.html>

4. إبراهيم قويدر، فقدان المواهب لصالح بلدان أخرى .. وقف هجرة العقول العربية، على رابط http://www.4shared.com/office/549ntA-B/_____.html

5. <http://www.alarabonline.org/index.asp?fname=%5C2012%5C05%5C0523%5C447.htm&dismode=x&ts=23-5-2012%2012:24:16>

6. <http://www.algomhariah.net/newsweekprint.php?sid=65562>



7. راوية توفيق، هجرة أبناء الشمال الأفريقي إلى أوروبا .. تحليل للأسباب والدوافع، ندوة "المغتربون العرب من شمال أفريقيا في المهجر الأوروبي، القاهرة، ٢٣ و ٢٤ أبريل 2007، جامعة الدول العربية، 2007. ص 201.

8. إبراهيم قويدر، فقدان المواهب لصالح بلدان أخرى .. وقف هجرة العقول العربية، مرجع سابق ذكره. ص 236

9. عادل عبد الغفار، الإعلام وتفعيل المشاركة المجتمعية للشباب في الدول العربية، بحث مقدم إلى مؤتمر الإعلام وتفعيل المشاركة المجتمعية للشباب العرب، القاهرة، يونيو 2009، المنتدى العربي للإعلامي للبيئة والتنمية، 2009. ص 93.

10. <http://www.unesco.org/new/ar/unesco/>

11. محمد عبد الله المنصوري، عبد العالي بوحويش الداخ، هجرة العقول العربية أسبابها وآثارها الاقتصادية، مؤسسة الفكر العربي، على رابط:

<http://www.arabthought.org/>

12. <http://www.islamlight.net/index.php?option=content&task=view&id=22196>

13. <http://arabic.arabianbusiness.com/society/politics-economics/2007/sep/16/335>

14. هدى بنت فهد المعجل، بتر العقول أو نزيف الأدمغة أو البيئة الطاردة للعقول، على رابط: <http://www.al-jazirah.com/2012/20120613/ar8.htm>

15. <http://www.swissinfo.ch/ara/detail/content.html?cid=301014>

16. مذكرة الأمانة العامة حول جوهر الأدمغة العربية، مرجع سابق ذكره. ص 274.

17. حنان يوسف، هجرة العقول العربية، ورقة بحثية مقدمة إلى ندوة إقليمية حول واقع وآفاق هجرة العمالة العربية في ضوء الشراكة الأورو متوسطية، القاهرة، أكتوبر 2006. ص 16.

18. علي الطالقاني، هجرة الكفاءات ظاهرة عالمية، على رابط: <http://www.annabaa.org/nbanews/69/042.htm>

19. Ayman Zohry, Migration Without Borders : North Africa as a Reserve of Cheap Labor for Europe, UNESCO, 2005.

20. إبراهيم قويدر، فقدان المواهب لصالح بلدان أخرى .. وقف هجرة العقول العربية، مرجع سابق ذكره. ص 158.

قائمة المراجع

▪ راوية توفيق، هجرة أبناء الشمال الأفريقي إلى أوروبا .. تحليل للأسباب والدوافع، بحث مقدم إلى ندوة "المغتربون العرب من شمال أفريقيا في المهجر الأوروبي، القاهرة، ٢٣ و ٢٤ أبريل 2007، جامعة الدول العربية، 2007.

▪ حنان يوسف، هجرة العقول العربية، ورقة بحثية مقدمة إلى ندوة إقليمية حول واقع وآفاق هجرة العمالة العربية في ضوء الشراكة الأورو متوسطية، القاهرة، أكتوبر 2006.

▪ عادل عبد الغفار، الإعلام وتفعيل المشاركة المجتمعية للشباب في الدول العربية، بحث مقدم إلى مؤتمر الإعلام وتفعيل المشاركة المجتمعية للشباب العرب، القاهرة، يونيو 2009، المنتدى العربي للإعلامي للبيئة والتنمية، 2009.



- Ayman Zohry, Migration Without Borders : North Africa as a Reserve of Cheap Labour for Europe, UNESCO, 2005
- جمال وهبي، الجزائر والمغرب من أكثر الدول التي تهاجر أدمغتها، مقال رأى، جريدة المساء، العدد 446، 25 فبراير 2008.

3- المواقع الإلكترونية:

- إبراهيم قويدر، فقدان المواهب لصالح بلدان أخرى .. وقف هجرة العقول العربية، على رابط: http://www.4shared.com/office/549ntA-B/_-_.html
- علي الطالقاني، هجرة الكفاءات ظاهرة عالمية، على رابط: <http://www.annabaa.org/nbanews/69/042.htm>
- مشهور إبراهيم، هجرة الكفاءات وآثارها السياسية والاقتصادية على الدول النامية، الحوار المتمدن، العدد 2391، 9/1/2018، على رابط: <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=145749>
- مذكرة الأمانة العامة حول جوهر الأدمغة العربية وضع سياسة واضحة لاستيعاب الكفاءات العربية و الحد من هجرتها إلى الخارج، الاتحاد البرلماني العربي، مجلة البرلمان العربي، العام الثاني والعشرون، العدد 82، ديسمبر 2001، على رابط: <http://www.arab-ipu.org/publications/journal/v82/memobrain.html>
- محمد عبد الله المنصوري، عبد العالي بوحويش الداخ، هجرة العقول العربية أسبابها وآثارها الاقتصادية، مؤسسة الفكر العربي، <http://www.arabthought.org/>
- هدى بنت فهد المعجل، بتر العقول أو نزييف الأدمغة أو البيئة الطاردة للعقول، على رابط: <http://www.al-jazirah.com/2012/2010613/ar8.htm8>
- <http://www.alarabonline.org/index.asp?fname=%5C2012%5C05%5C0523%5C4%2012:24:16747.htm&dismode=x&ts=23-5-201>
- <http://www.algomhariah.net/newsweekprint.php?sid=65562>
- <http://www.unesco.org/new/ar/unesco/>
- <http://www.islamlight.net/index.php?option=content&task=view&id=22196>
- <http://arabic.arabianbusiness.com/society/politics-7/sep/16/3351economics/20>
- <http://www.swissinfo.ch/ara/detail/content.html?cid=301014>